مقياس: فلسفة النقد

السنة الثانية ليسانس (دراسات نقدية)

المحاضرة الخامسة: الفلسفة الوضعية والتجريبية

1- الفلسفة الوضعية: (Positivisme)

انتشرت الفلسفة الوضعية في النصف الأول من القرن التاسع عشر في فرنسا، ومنها انتقلت إلى دول أوروبا.

ومؤسسها هو الفيلسوف وعالم الاجتماع والرياضيات الفرنسي 'أوغست كونت' وهو تلميذ للفيلسوف الاشتراكي 'سان سيمون'، وقد بدأ كونت بإلقاء محاضراته عن فلسفته الوضعية سنة 1862م، ونشرها فيما بعد في كتاب (محاضرات في الفلسفة الوضعية) بسط فيه نظريته في المعرفة والعلوم.

وللوضعية تصور خاص للحياة؛ تدعو فيه إلى رفض كل ما هو غيبي، والاقتصار على ظواهر العالم المحسوسة، ودراسة هذه الظواهر لاكتشافها والوصول إلى قوانينها، وتقرر أن التطور العقلي هو السبب الرئيس للتطور الاجتماعي، وأن المجتمع البشري مر بمراحل تطور متوالية هي: اللاهوتية ثم الميتافيزيقية، ثم العلمية في المرحلة الأخيرة يكتمل تطور الإنسانية؛ إذ يصبح رجال العلم الوضعي هم القوة الروحية المهيمنة على المجتمع، وينتهي دور الدين تماما.

أ. **المرحلة اللاهوتية:** التي يفسر فيها العقل البشري وقائع العالم من خلال كائنات غيبية مقدسة.

ب. المرحلة الميتافيزيقية: ويفسر فيها العقل الإنساني أحداث العالم من خلال حقائق تأملية متعالية وثابتة، لا علاقة لها بالواقع.

ج. المرحلة العلمية (الوضعية): ويستعمل فيها العقل البشري المنهج العلمي التجريبي، أي المنهج الوضعي لتفسير وقائع العالم، وهو منهج استقرائي، يقوم على الملاحظة والتحليل التجريبيين للمعطيات والوقائع التجريبية.

ففي هذه المرحلة يستخدم الناس المنهج الوضعي في تفسير الوجود، ويتكون هذا المنهج من الاستنتاج اعتمادا على الملاحظة وحدها، ودعا كونت إلى استخدام المنهج الوضعي في جميع الدراسات العلمية، بما فيها دراسة الطبيعة البشرية، ورأى بأنه يتعين دراسة الطبيعة البشرية من خلال علمي الأحياء والاجتماع، ونادى بضرورة أن يهدف التقدم إلى السلطة الاجتماعية، التي ترتكز على العلم والدين الجديد للإنسانية.

وهو اتجاه يسعى إلى إخضاع كل فروع المعرفة البشرية لنموذج المعرفة العلمية؛ أي تحكيم مبدأ الملاحظة والتجربة الحسية مبدأ أساسا وحيدا لبلوغ معرفة علمية بالظواهر؛ إذ يتعذر إدراكها في ماهيتها.

ويرى كونت أن الفلسفة الوضعية وحدها كفيلة بتقدم المجتمع، ذلك أن المنهج الوضعي يجب ألا يقتصر على فرع معرفّ دون سواه، بل أن يعم المعرفة الإنسانية برمتها: علم الاجتماع، السياسة، الفن، الأخلاق ...

2- الفلسفة التجريبية: (Expérimentale/ Empirisme)

تلتقي الفلسفة التجريبية مع الفلسفة الوضعية في رفض الغيبيات، وفي الدعوة إلى تحكيم التجربة والملاحظة والاستنتاج في الحياة البشرية والقيم الإنسانية، رائدها الفيلسوف الإنجليزي 'فرنسيس بيكون'، وأهم أعلامها الذين طوروها: جون لوك وباركلي وهيوم وجون ستيوارت ميل.

ويعد فرانسيس بيكون أحد أصول النزعة الوضعية، وهو أول من استعمل مصطلح (العلم التجريبي) راهنا بذلك العلم الحديث بالتجربة، مما قاده إلى تجديد المنهج

التجريبي، الذي يقوم على أن المعرفة العلمية بالظواهر تقتضي فرض تأويلات على وقائع التجربة، ولا تتوقف على التلقي السلبي للظواهر.

ويمكن القول إن موجز قضايا الفلسفة التجريبية تتلخص في:

- المعرفة المثمرة هي معرفة الحقائق وحدها.
- العلوم التجريبية هي التي تمدنا بالمعارف اليقينية.
- الفكر الإنساني لا يستطيع أن يعتصم من الخطأ في الفلسفة وفي العلوم؛ إلا بعكوفه الدائم على التجربة، وبتخليه عن كل الأفكار الذاتية السابقة.
- الأشياء في ذاتها لا يمكن إدراكها؛ لأن الفكر لا يستطيع إدراك شيء منها سوى العلاقات، ثم القوانين التي تخضع لها العلاقات.

إذ يدعو التجريبيون إلى التعلق بالعلم، وإحلاله محل الأديان في وضع القواعد الخلقية، وجعله المصدر الوحيد للمعرفة والسلوك، ويدعو أيضا إلى تطبيق قواعده ومناهجه في علم النفس، والاجتماع، والفن والأدب (في اتجاهه الواقعي).